الباب الخامس

وقفات مع الجماعات الإسلامية

الدرس الأول

مدخل لدراسة الجماعات الإسلامية اليوم

إن الجماعات العاملة اليوم في ميدان الدعوة تختلف بينها اختلافًا واسعًا حول منهج الدعوة ونقطة الانطلاق وكيفية المسير، ولم نزل نشاهد الحزبية الضيقة قد ضربت بجرانها حول عقول كثير من الجماعات العاملة في ميدان الدعوة إلى الله، فأصبحت لا ترى إلاَّ نفسها وهضمت وجود الآخرين من حولها، وتنامى الأمر حتى رأينا أن بعضها يدعى أنه جماعة المسلمين، وأن مؤسسها هو إمام المسلمين.

والحقيقة أن العاملين للإسلام هم جماعات من المسلمين أي من أهل القبلة، وليس جماعة المسلمين، واعلم أيها المسلم، أن جماعة المسلمين هي التي ينتظم في سلكها جميع المسلمين، ويكون لها إمام منفذ لأحكام الله، حيث تجب طاعته وإعطاؤه صفقة اليد وثمرة الفؤاد.

فهي دولة الإسلام التي على رأسها خليفة منفذ لأحكام الله وأما الجماعات التي تعمل على إعادة دولة الخلافة، فهي جماعات من المسلمين يجب أن تتعاون فيما بينها وتلغي الحواجز القائمة بين أفرادها ليلتقوا على كلمة، سواء تحت كلمة التوحيد والسنة، وفهم سلف الأمة.

إن هذه الجماعات يجب على المسلم أن يعينها فيما عندها من الحق، ويجب عليه أن يتولاها نصحًا وإرشادًا فيما خالفت في الحق أو قصرت فيه من الحق،

وهذه الجماعات يجب عليها أن تتعاون فيما اتفقت عليه من الحق، وينصح بعضها بعضًا فيما اختلفوا فيه ويسألوا الله أن يهديهم في ذلك إلى صراط مستقيم خلافًا للقاعدة الحزبية: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وقد بيَّن ضررها وخطرها الأخ حمد العثمان ـ حفظه الله ـ في كتابه (زجر المتهاون بضرر قاعدة العذر والتعاون).

والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين واجب شرعي وبخاصة بين العاملين في ميدان الدعوة، ولكن لا يتم هذا التعاون إلاَّ على أصلين، هما:

١ ـ منهج السلف الصالح. ٢ ـ ترك التحزب.

وأما أن تبقى كل جماعة أو حزب على عقائدها المخالفة للسلف ولها كيان يستقل عن غيرها، فلا يكون تعاون إلاَّ على سبيل المغضوب عليهم تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى، وأما محاولة بعض المنتسبين لأهل السنة التقليل من أهمية ذلك فهي دعوة الحق السلفية، فلا تكن من المغترين فكلامهم كالعسل ومواقفهم من علماء المنهج السلفي وعلمائه كالأسل.

أي أخي الداعية ـ وفقك الله ـ: إن مما ينبغي أن يُعلم في شأن الجماعات الإسلامية أنه من الواجب عليها أن تكون يدًا واحدة في البر والتقوى لبناء صرح الإسلام الشامخ وبعث مجده من جديد، لأنها إذا وقفت فرادى فلن تستطيع ذلك والله يتولى الصالحين، وهذه الجماعات يجب أن تغذي أتباعها بالحق والحب لجميع المسلمين، فتحطم حواجز الحزبية التي فرقت شملها وأضعفت قوتها وذهبت بريحها، وبذلك فإن الخارج من هذه الجماعات ليس بخارج من جماعة المسلمين، لأن هذه الجماعات ليس لها صفة ذلك ولا لمؤسيسها أهليه إدعاء الإمامة[1].

---

(١) «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٢٤-٢٦) مختصرًا.

ولا أنسى أن أنبه إلى أمر مهم غاية الأهمية، ألا وهو أنَّ الكلام على جماعة معينة يعود إلى الكلام على منهجها لا إلى أفرادها؛ لذا لا يصح لأحد أن يعيب دين الإسلام، لأن من المنتسبين إليه أناسًا مفرطين غير قائمين به ونحو ذلك ويثني على دين النصارى، لأن من المنتسبين إليه في زعمه أناسًا جادين قائمين به هذا أبدًا لا يصح بل النقد والتقويم يكون للمناهج لا للأفراد، إذا الأفراد يتغيرون من زمن لآخر ثم يكون حسنهم أو قبحهم راجعًا لأمر خارجي لا علاقه له بالمناهج[1]، لذا أرجو التنبه لهذا الأمر المهم واستحضاره عند النقد والكلام على المناهج الدعوية وغيرها.

(١) أفاده محدث العصر الألباني ـ رحمه الله ـ في بعض مسجلات الصوتية عن جماعة التبليغ، راجع شريط برقم (٥٤٠).

obeikandl.com

الدرس الثاني

وقفات مع الدعوة السلفية

الوقفة الأولى - تعريف كلمة السلف:

تدل على من تقدَّم وسبق بالعلم والإيمان والفضل والإحسان[١]، ومنه قول النبي ﷺ لابنته فاطمة الزهراء: «**فإنه نعم السلف أنا لك**»[٢].

وفي الاصطلاح: وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة رضي الله عنهم، ويشاركهم فيه غيرهم بتعًا وأتباعًا[٣].

قال الغزالي معرفًا كلمة السلف: أعني مذهب الصحابة والتابعين[٤].

وقال البيجوري: المراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم[٥].

الوقفة الثانية - معنى السلفية والتسمي بها:

أما السلفية: فهي نسبة إلى السلف وهو انتساب محمود إلى منهج سديد وليس ابتداع مذهب جديد[٦]، لأنها تعنى: الإسلام المصفى من رواسب الحضارات القديمة، وموروثات الفرق العديدة بكماله وشموله كتابًا وسنةً بفهم الممدوحين بنصوص الكتاب والسنة[٧].

---

(١) «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٣٠).
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) نفسه (ص٣٠).
(٤) نفسه (ص٣١) نقلاً من «إلجام العوام عن علم الكلام» (ص٢٦).
(٥) نفسه، نقلاً من «شرح جوهرة التوحيد» (ص١١١).
(٦) نفسه (ص٣٣).
(٧) نفسه (ص٣٤).

وقد يقول قائل: إن التسمية بالسلفية بدعة، لأنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه، والجواب عليه: إنه لم يكن هناك حاجة لكلمة السلفية، فقد كانوا عليها سليقة وفطرة، فهم المسلمون على الإسلام الصحيح، ولمَّا ظهر الشذوذ والانحراف عن جماعة المسلمين بدأت تظهر كلمة السلفية على الواقع لكي تتميز عن غيرها من الطوائف الإسلامية الأخرى التي أصابها الشذوذ، والانحراف في المنهج[1].

ونسوق للقارئ الكريم تلك المحاورة اللطيفة بين الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ وبين الأستاذ عبد الحليم أبو شقة، مؤلف كتاب (تحرير المرأة في عصر الرسالة).

قال الشيخ: إن قيل لك ما مذهبك فما أنت قائل؟

قال: مسلم.

قال الشيخ: هذا لا يكفي.

قال: لقد سمانا الله المسلمين، وتلا قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨).

قال الشيخ: هذا جواب صحيح لو كنا في في العهد الأول قبل انتشار الفرق فلو سألنا ـ الآن ـ أي مسلم من هذه الفرق التي نختلف معها جذريًا في العقيدة لما اختلف جوابه عن هذه الكملة فكلهم يقول: الشيعي الرافضي والخارجي والدرزي والنصيري العلوي، أنا مسلم، إذًا هذا لا يكفي في هذه الأيام.

قال: إذا أقول أنا مسلم على الكتاب والسنة.

قال الشيخ: أيضًا هذا لا يكفي.

---

(١) نفسه (ص٣٦) بتصرف.

قال: لماذا؟!

قال الشيخ: هل تجد واحدًا من هؤلاء الذي ضربناهم مثلاً، يقول: أنا مسلم لست على الكتاب والسنة، فمن الذي يقول: أنا لست على الكتاب والسنة، ثم أخذ الشيخ ـ رحمه الله ـ يبين له أهمية الضميمة التي نتبناها وهي: الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح.

قال: إذًا أنا مسلم على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

قال الشيخ: إذا سألك سائل عن مذهبك، فهل تقول له ذلك؟

قال: نعم.

قال الشيخ: ما رأيك أن نختصرها لغة، لأن خير الكلام ما قلَّ ودلَّ، فنقول: سلفي[1]. هذا هو الشاهد من كلامنا بينما الحوار ما زال طويلاً أكثر مما أوردناه.

الوقفة الثالثة ـ السلفية ليس حزب من الأحزاب المحدثة:

جاء في (السراج الوهاج): وأرى أن من يقول إن الدعوة السلفية حزب من الأحزاب المنحرفة يجب اعتزالها كما يعتزل غيرها ومن يقول: إن السلفيين يعملون في خندق مع الصوفية والعلمانية ضد الإسلام، أرى أن هذا القول ظالم والثاني أقبح من الأول سواء كان قائله جاهلاً أو متحاملاً[2].

الوقفة الرابعة ـ بعض ما يشير إليه مصطلح السلفية:

السلفية كتاب وسنة، والسلفية عصمة وأمان من الانحراف والشذوذ، وأعتقد أن العصمة والأمان في المذهب السلفي، وأن أي سبيل لا يقوم على الكتاب

---

(١) نفسه (ص٣٦-٣٧)، شريط «أنا سلفي» للألباني.

(٢) «السراج الوهاج» (ص١٠١).

والسنة وفهم سلف الأمة ففيه من الانحراف بقدر بعده عن منهج السلف وما فيه من الصواب بقدر منهج السلف ولو التزم بهذه المناهج أتباعها حرفًا حرفًا، ما حققوا العبودية، كما يجب لله رب العالمين[١].

السلفية حسب ونسب، قال شيخ الإسلام بن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلاَّ حقًا[٢].

السلفية هي الطائفة المنصورة وهي الفرقة الناجية، سُئل العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ عن الفرقة الناجية، فقال: هم السلفيون وكل من مشى على طريقة السلف الصالح، الرسول وصحابته[٣].

وقال الشيخ جميل زينو: وإني أنصح إخواني المسلمين أن يلتزموا بالدعوة السلفية؛ لأنها هي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة التي قال فيها الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[٤].

الوقفة الخامسة ـ من هم السلفيون؟

السلفيون: هم أهل السنة والجماعة وهم الغرباء، فعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ قال: استوصوا بأهل السنة، فإنهم غرباء.

وقال الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم وصبروا على سنتهم، حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا[٥].

---

(١) نفسه (ص٨٠).
(٢) «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٣٣).
(٣) «منهاج الفرقة الناجية» (ص١٣).
(٤) «كيف اهتديت إلي الطريق المستقيم» (ص٧٧).
(٥) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص٢٧٥-٢٧٦).

والسلفيون هم أهل الحـديث، قال شيخ الإسلام ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ: ولا نعني بأهل الحديـث المقتصريـن على سماعـه أو كتابتـه أو روايته، بل نعني بهم: كل من كـان أحق بحفظه ومعـرفتـه وفهمـه ظاهرًا وباطنًا، واتباعـه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن[١].

والسلفيون لا ينسبون إلى فرد أو طـائفة، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: عند علامة أهل العبـودية، العلامة الثانية ـ ولم ينسبوا إلي اسم ـ: فـإن آفة العبودية هي العبـودية المقيدة وأما العـبودية المطلقة، فلا يعـرف صاحبهـا باسم معين من معاني اسـمائها، فإنه مجيب لداعـيها على اختلاف أنواعهـا فله مع كل عبودية نصيـب يضرب معـهم بسهـم، فلا يتقـيد برسم ولا إشـارة ولا اسم ولا بزي، أولئك ذخائر الله حيـث كانوا هؤلاء لما كانوا مستورين عن الناس بأسـبابهم غير مشار إليهم ولا متميزين برسم دون الناس ولا منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي كـانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة، وهؤلاء أبعـد الخلق عن الآفات، فإن الآفـات كلها تحت الرسـوم هذه هي الطرق التي قطعت أكثـر الخلق عن الله وهم لا يشعرون[٢].

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: ومذهب أهل السنة قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحـمد؛ فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة[٣].

---

(١) المرجع السابق (ص٦٢).

(٢) «حكم الانتماء»، نقلاً من «مدارج السالكين».

(٣) «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٦٥)، نقلاً من «منهاج السنة».

الوقفة السادسة ـ كن سلفيًا على الجادة:

أخي شاب الصحوة: كن سلفيًا على الجادة، فإن المخرج من مضلات الهوى وسبيل النجاة من معضلات الشبهات والشهوات التي تجتال من أتبعهاعن المحجة البيضاء ماكان عليه الصحابة ﷺ من فهم لسنة رسول الله، فإنهم أخذوا منها بحظ وافر وحازوا قصبات السباق واستولوا على الأمد، فلا مطمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق بهم، فإنهم على هدى وقفوا وبعلم قد كفوا وببصر ثاقب نظروا والسعيد من اتبع صراطهم السوي والشقي من زرع ذات اليمين وذات الشمال وسلك سبل الغي التائه الحائر في ميدان المهالك والضلال، يظن سراب الأهواء ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الشيطان عنده فاستحوذ عليه نعوذ بالله من الخذلان[1].

وقال ابن مسعود من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة بنيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[2].

سلف إذا مرَّ الزمان بذكرهم ... وقف الزمان لهم مجلاً مكبرًا

قال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول[3].

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا جاج النحل تمدحه ... وإن ذممت فقل قيء الزنابير

---

(١) نفسه (ص٧٧).

(٢) نفسه (ص١٠٠).

(٣) «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٠٠).

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصرٍ نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أخرى[١].

فكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

وقال آخر:

وخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

فاحذر آخا الإسلام: أناسًا يحذرونك من الانتساب والإعتزاء لمذهب السلف بحجة أن السلفيين نصيون متشددون رجعيون، متحجرون لا يفقهون واقعهم، وغير تلك الأوصاف التي يطلقونها عليهم، فلا تسمع لهم، فإنهم جهلة مرجفون.

لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم ... فمصيبة الإسلام من جهاله

فاثبت علي مذهب السلف، فإن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم[٢].

وليكن شعارك:

أنا سلفي ما حييت وإن أمت ... فوصيتي للناس أن يتسلفوا

(١) «شرح لمعة الاعتقاد» (ص٢٥).

(٢) «السراج الوهاج»

الدرس الثالث

وقفات مع جماعة الإخوان المسلمين

إنني حين أقف وقفات مع حركة إسلامية كحركة الإخوان المسلمين لا أقصد من خلال هذه الوقفات الانتقاص والتجريح أو السلب والثلب، إنما أقصد بيان الحق ونصح الخلق، خصوصًا وأن حركة الإخوان تعدُّ من أكثر الحركات الإسلامية سعةً وانتشارًا، وسبب ذلك احتماؤهم بالدين العظيم وتلبسهم به وإلاَّ لما وجد هؤلاء القوم طريقًا إلي قلوب الناس وعقولهم.

الوقفة الأولى ـ تأسيس الحركة ونشأتها:

يعد الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا هو مؤسس حركة الإخوان المسلمين.

نبذة من حياة المؤسس: ولد البنا ـ رحمه الله ـ عام ١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م، وتوفي عام ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م، وكان قد تلقى تعليمه في المدارس الدينية والإعدادية ودور المعلمين بدمنهور، ثم دار العلوم في بالقاهرة، وتخرج منها عام ١٩٢٧م، وعمل مدرسًا بمدرسة الإسماعيلية الأميرية واستمر مدرسًا فيها تسع عشرة سنة، وفي مايو ١٩٤٦م، استقال الشيخ من وظيفته[١].

تربى البنا ـ رحمه الله ـ على الطريقة الصوفية الحصافية، وأخذ بيعتها على يد الشيخ بسيوني العبد، ثم على يد الشيخ عبد الوهاب الحصافي[٢].

---

(١) «الدعوة إلى الله بين الشرع والفكر» (ص٧١)، «المورد العذب الزلال» (ص١١٩).

(٢) «الدعوة إلى الله بين الشرع والفكر» (ص٧١).

نشأتها: نشأة حركة الإخوان على يد البنا ـ رحمه الله ـ مع عدد من زملائه عام ١٣٤٧هـ، في مدينة الاسماعيلية، ويُعدُّ البنا ـ رحمه الله ـ هو القائد الأول لحركة الإخوان، ثم خلفه الأستاذ / حسن الهضيبي، ثم خلفه الأستاذ/ عمر التلمساني، ثم خلفه الأستاذ / حامد أبو النصر، ثم الأستاذ/ مصطفى مشهور، ومازال قائمًا على الحركة إلى يومنا هذا[١].

الوقفة الثانية ـ العقيدة الإسلامية عند الإخوان:

إنه ما من أدنى شك في أن أي دعوة يقوم بنيانها على غير عقيدة التوحيد الصادق لهي دعوة خامدة ونهايتها إلي الفشل وأهلها غثاء لا يرفع بهم رأسًا وجماعة الإخوان المسلمين لا يهتمون بالدعوة إلى التوحيد، بل قد وقع الكثير منهم في وحل الشرك، فهذا الإمام البنا يرى أن آيات الأسماء والصفات وأحاديثها الصحيحة من المتشابه[٢].

ولاشك أن هذا خلاف مذهب السلف قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يُفهم، بل قال: أعني البنا ـ رحمه الله ـ: بالتفويض في باب الاسماء والصفات، ومعنى ذلك أن تؤمن بألفاظها دون البحث عن معانيها ونسب هذا القول إلى السلف وهم من ذلك براء، حيث قال: ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض هذه المعاني إلى الله أسلم وأولى بالاتباع حسمًا لمادة التأويل والتعطيل[٣].

---

(١) «الجماعات الإسلامية» (ص١٥٩).

(٢) «رسالة أخوية» (ص١٦)، نقلاً من الأصل العاشر (ص٣٩).

(٢) نفسه (ص١٧-١٨)، نقلاً من مجموعة الرسائل (ص٤٩٨).

وهذا سيد قطب ـ رحمه الله ـ يؤول الاستواء بأنه رمز السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين[١]، وهذا القول قول المعتزلة، وهو خلاف ما ذهب إليه السلف من أنه يعني الارتفاع والعلو.

وهذا سعيد حوى ـ رحمه الله ـ يقول: إن للمسلمين خلال العصور أئمتهم في الاعتقاد، فأئمتهم في الاعتقاد، كأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي[٢].

وقال أيضًا: وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنين: أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي[٣].

وقال عمر التلمساني: فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم[٤].

قال العجمي معلقًا على هذه العبارة: لم يبق شرك من شرك القبور، إلاَّ وقد أباحه في هذه العبارات المرشد العام للإخوان المسلمين[٥].

الوقفة الثالثة ـ الولاء والبراء عند الإخوان المسلمين:

الولاء والبراء عند الإخوان المسلمين ضعيف فليس هو القائم لله وفي الله، وإليك الأدلة على ذلك:

الدليل الأول ـ يقولون: الخلاف بيننا وبين اليهود والنصارى على الأرض لا خلاف عقيدة. هذه هي بضاعتهم وعلى رأسهم البنا ـ رحمه الله ـ،

---

(١) نفسه (ص٣٢)، نقلاً من «الظلال» (١/ ٦٢) الآية (٢٨) البقرة.

(٢) «الجماعات الإسلامية» (ص١٨٥)، «رسالة أخوية» (ص٣٨)، نقلاً من «جولة في الفقهين» (ص٢٢).

(٣) «الجماعات الإسلامية» (ص٦٦)، «رسالة أخوية» (ص٨١)، نقلاً من «جولة في الفقهين» (ص٢٢).

(٤) «المورد العذب الزلال» (ص١٥٨)، نقلاً من «شهيد المحراب» (٢٣١).

(٥) المرجع السابق (ص١٥٨)، نقلاً من كتاب «وقفات» (ص١٧).

والقرضاوي ـ غفر الله له ـ، والسباعي ـ رحمه الله ـ فقد تحدث البنا ـ رحمه الله ـ، أمام لجنة أمريكية بريطانية مشتركة حول قضية فلسطين، فقال: فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية، لأن القرآن الكريم حث على مصافتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى الله عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[1] (النساء: ١٦٠).

وقال الدكتور القرضاوي: إننا لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة، وإنما من أجل الأرض[2].

وقال السباعي ـ رحمه الله ـ: فليس الإسلام دينًا معاديًا للنصرانية، بل هو معترف بها مقدس لها، والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي، ولا يعطي للمسلم حقًا في الدولة أكثر من المسيحي، والدستور سينص على مساواة المواطنين جميعًا في الحقوق والواجبات[3].

والدليل الثاني ـ سعيهم في التقريب بين الشيعة وبين أهل السنة.

يقول محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ: ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة وأنا أريد فعلاً أن تذهب الجفوة والشقاق الذي شاع بين المسلمين[4].

---

(١) «الجماعات الإسلامية»، «المورد العذب الزلال»، نقلاً من كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (ص٤٠٩)، حسن البنا «مواقف الدعوة والتربية» (ص٢٨٨).

(٢) «مجلة الراية» العدد (٤٦٩٦).

(٣) «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» (ص٥٩).

(٤) «المورد العذب الزلال» (ص١٨٠)، نقلاً من «دفاع عن العقيدة الإسلامية» (ص٢٥٦).

وقال البنا ـ رحمه الله ـ: اعلم أن السنة والشيعة مسلمون، تجمعهم كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[١].

وقال الدكتور القرضاوي ـ غفر الله له ـ: أنا لا أنصح الشيعة أن يكونوا أهل سنة، أنا أنصح أن يكونوا أهل السنة شيعة[٢]، قال أيضًا: لابد أن ننزع العداوة والبغضاء بيننا وبين اليهود[٣].

وقال يوسف العظم ـ رحمه الله ـ:

يالخميني زعيمًا وإمام	هدًا صرح الظلم لا يخشى الحمام
قد منحناه وشاحًا ووسام	من دمانا ومضينا للأمام
ندحر الشرك ونجتاح الظلام	ليعود الكون نورًا وسلام[٤]

الدليل الثالث ـ سياسة التجميع، وسنتكلم عنها مفصلة في الوقفة التالية:

الوقفة الرابعة ـ سياسة التجميع والتمييع والتلميع والتشنيع عند الإخوان:

أولاً ـ سياسة التجميع: فهي تجمع خليطًا لا لون له ولا منهج، فهذا سني وهذا شيعي، وهذا جهمي، وذاك صوفي، وآخر أشعري، وآخر وثني، المهم عندهم تكثير عددها وتحقيق انتشارها وبلوغ هدفها ولو أدَّى ذلك إلى التناقض الظاهر في الأقوال والأعمال، وهذه هي الغثائية بعينها، والحق أن كثرة العدد وسعة الانتشار ليس لها وزن في الميزان الشرعي[٥].

---

(١) نفسه (ص١٤١)، نقلاً من «ذكريات لا مذكرات التلمساني» (ص٢٤٩-٢٥٠).

(٢) (٣) من المسجلات الصوتية للشيخ/ نعمان الوتر، وغيره من علماء السنة.

(٤) «المورد العذب الزلال» (ص١٨١). (٥) «الجماعات الإسلامية» (ص١٦٣).

وسياسة التجميع عند الإخوان أمر ملموس ومشاهد ومُسَلَّم به لا يحتاج إلى دليل فهو أمر معلوم من الواقع بالضرورة.

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

فالواجب على الإخوان أن يراجعوا حساباتهم ويعيدوا النظر في أهدافهم التي يسعون لتحقيقها، وليعلموا أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يجمع بين سني ومبتدع ومؤمن وكافر، وصاحب هدى، وصاحب هوى.

ثانيًا ـ سياسة التمييع: إن من الملحوظ في صف الإخوان المسلمين تمييعهم لكثير من المسائل الشرعية، فإن سألت عن اللحى؟، فغالبهم مقصرون ومحلقون، وقليل ما هم العافون، وإن سألت عن الإسبال؟، فمنهم المسبل ولا يرى بذلك بأسًا بدعوى أن إسباله ليس عن فخر وغرور، وإن سألت عن الغناء؟ فمنهم المجيز بضوابط الهوى، فلا وزن للنصوص عنده، ومنهم الذي اختار ما يسمونه بـ (البديل) النشيد الإسلامي، وهكذا استبدلوا بدلاً من المعصية بدعة، وتوسعوا في المسألة واستخدموا الآلات الموسيقية الحديثة فكانت القاصمة، قال الثوري ـ رحمه الله ـ: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها[1].

وإن سألت عن التصوير؟ فهم يرون جوازه، وعدم حرمته، وليس محرمًا إلاَّ ما كان منحوتًا له ظل فقط، ولا أدري أين ذهبوا بعموم الأدلة؟، من ذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: علقت على سهوة لها سترًا فيه تصاوير فلما رآه النبي ﷺ هتكه وتغير وجه ﷺ، وقال: **«يا عائشة إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم»**[2]، وقوله ﷺ لعلي بن أبي

(١) نفسه (ص٣٦٥).

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

طالب ﷺ: «لا تدع صور إلاَّ طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[١]، وقوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تنهى عن التصاوير بدون تخصيص، والذين فَصَّلوا في هذه المسألة، وقالوا: بأن الصور المنهي عنها يقصد بها المنحوتة فقط، فنحن نطالب بالدليل، مع اعتقادنا بأن الصور المنحوتة أشد تحريمًا.

وإن سألت عن مصافحة النساء الأجانب؟ فمنهم من يرى جواز ذلك أمثال الشيخ: محمد الغزالي، والدكتور القرضاوي، وقد استدل القرضاوي على جواز ذلك بحديث الجارية التي كانت تأخذ بيد رسول الله ﷺ ليقضي حاجتها، واستدلاله غير صحيح، فالجارية لم تمسه، بل لمست كُمَّ النبي ﷺ، أي: كُمَّ قيمصه الذي على يده، لأن عائشة ﷺ قالت: «لا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط في المبايعة»[٣]، وقال ﷺ: «إني لا أصافح النساء»[٤]، وفي حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ، قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٥].

والمذاهب الأربعة متفقون على التحريم، أعني: تحريم مصافحة الأجنبية[٦]، وبهذا أفتى علماء زماننا[٧]، أما إلقاء السلام على النساء الأجنبيات فالمسألة

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، وفي هذا الحديث لطيفة فهو واضح على الصور في وقتنا، فلو كانت تماثيل لقال: «إلا كسرته»، وفرق بين الكلمتين.

(٢) رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي طلحة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٢٦٢)، بلفظ: «ولا صورة»، وعن أبي هريرة رواه مسلم بلفظ «تماثيل او تصاوير»، صححه الألباني في «الجامع» (٧٢٦٠).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أميمة بنت رقيقة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع (٢٥١٣)، و«الصحيحة» برقم (٥٢٩).

(٥) رواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٢٦).

(٦) الأجنبية: كل من عدا المحارم من النساء.

(٧) نفسه، انظر فتوى الشيخ/ محمد العثيمين «فتاوى المرأة»، المجلد الأول محمد المسند، وفتوى الشيخ/ الجبرين، نفس المصدر، وغيرهما من علماء زماننا.

خلافية، وخلاصة ما فيها: «أن من وثق من نفسه بالسلامة فليسلم، وإلاَّ فليصمت أسلم»، قاله: الحليمي صاحب (عون المعبود)[١].

وقال ابن بطال عن المهلب: سلام الرجال على النساء، وسلام النساء على الرجال جائز إذا أمنت الفتنة[٢].

وقال الحافظ في (الفتح): جواز تسليم الرجال على النساء والعكس، والمراد بجوازه أن يكون عند أمن الفتنة[٣].

وإن سألت عن الديمقراطية والانتخابات والحزبية؟ فهم يحيزون كل ذلك تحت ستار الديمقراطية الإسلامية.

وهكذا تجدهم قد ميَّعوا كثيراً من المسائل الدينية وحجتهم في ذلك المماشاة والمسايرة للواقع، وبإذن الله أتحدث في الوقفة التالية عن فقه الواقع عند الإخوان المسلمين.

ثالثًا ـ سياسة التلميع والتشنيع: فالواقع أن جماعة الإخوان المسلمين لا تتعاون مع جماعة أو داعية ما لم يتقيد بخططهم ونظامهم الحزبي[٤].

قال منظر الإخوان المسلمين في الكويت (المهلهل): بل إن دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وعقيدته وأنظمته، والإخوان لا يبالون بهم وهم بهذه المزايا إلاَّ أن يقبلوا التقيد بخطط الجماعة والسعي لإقامة أهدافها، وهي إقامة دولة الإسلام، وذلك فضلاً عن المنحرفين والغافلين وغيرهم[٥].

---

(١) (٢) أدلة تحريم مصافحة الأجنبية (ص٤٦). (٣) نفسه (ص٤٥).

(٤) «الجماعات الإسلامية» (ص١٧٧). (٥) المرجع السابق، نقلاً من «للدعاة فقط» (ص١٢٢).

نعم هكذا وصل الحال بالإخوان المسلمين، فإن كنت معهم في التنظيم الحزبي، تؤمن بأنهم هم جماعة المسلمين الأم وتنفذ خططهم وتحقق أهدافهم، أو تعمل على تحقيقها، فأنت المفكر والكاتب والمنظر والشيخ ولو كنت في الحقيقة لا تحمل من العلم إلاَّ بصيصًا، كمصباح راهب، وكل ذلك تلميعًا لشخصك، وإن كنت تناصحهم وتناقشهم وترد أخطائهم، فأنت مهمل عندهم جاهل لا قيمة لك ولو كنت عالمًا ربانيًا، فإلى الله المشتكى، ولم نقل بذلك جورًا وظلمًا، إنما هو الحق والعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨).

الوقفة الخامسة ـ فقه الواقع عند الإخوان المسلمين:

أخا الإسلام والإيمان، اعلم أن الإسلام أعظم منهج، وأكمل دين، ومن خصائصه الشمولية والعموم والتكامل بين أنظمته، فهو قادر على التعامل مع جميع الأزمنة والأمكنة، وواقع الأمة الإسلامية المعاصر موصوف بحروف بارزة في السنة المطهرة؛ ولذلك فعلى منظري العمل الإسلامي المعاصر أن يكونوا علماء بالكتاب والسنة، ولا يتركوا تقدير الأمور لتجاربهم وعقولهم وإلهاماتهم، ولذلك فوجود ما يسمى بعلماء فقه الحركة أو فقهاء الواقع هو ابتعاد بالجماعات العاملة في ميدان الدعوة إلى الله عن مصدر عزتها وينبوع هدايتها[1]، بل إنه انهزام أمام الأعداء، فهذه الفتاوى التي تظهر باسم الإسلام يجب التنبه لها، فإن من ورائها أخطار جسيمة، منها:

١ ـ اسقاط هيبة الإسلام وعزته وكرامته أمام الأعداء.

٢ ـ تمكين أعداء الإسلام وتقوية شوكتهم.

٣ ـ استضعاف المسلمين وإذلالهم واستباحة بيضتهم.

---

(١) «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص٢٩).

ثم إن كثيراً من المروجين لهذا الفقه جعلوه مصدراً من مصادر الاستدلال وهذا عين الخطأ، لأن الواجب أن يُعرض الواقع على الكتاب والسنة لا العكس.

وهؤلاء القوم جعلوا الواقع هو المصدر الأصل في فتاويهم (تمشيًا، ومسايرةً، وتأقلمًا)، وجعلوا الكتاب والسنة فرع من ذلك، فالواقع اليوم يحتاج إلى إصلاح لا أن نستسلم لكل جديد مخالف للشرع بحجة أننا لا نستطيع التغيير.

يقول الشيخ العثيمين ـ رحمه الله ـ: لو بقينا مستسلمين للواقع ما تمَّ الإصلاح إذ أنَّ الإصلاح لابد أن نغير ما فسد إلى وجه صالح، ولابد أن يغير الصالح إلى ما هو أصلح والتسليم للواقع أمر غير وارد في الشريعة الإسلامية، ولهذا لما بُعث النبي ﷺ في أمة مشركة يعبدون الأصنام ويقطعون الأرحام ويظلمون، ويبغون على الناس بغير الحق، لم يستسلم بل لم يأذن الله له أن يستسلم للأمر الواقع، بل قال له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، فأمره أن يصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين ويتناسى جهلهم وعنادهم حتى يتم له الأمر.

نعم، ربما يقول قائل: إن من الحكمة أن نغير لكن لا بالسرعة التي نريدها، لأن المجتمع على خلاف ما نريد من الإصلاح، فحينئذٍ لابد أن ينتقل الإنسان بالناس لإصلاح من الأهم إلى ما دونه أي يبدأ بإصلاح الأهم والأكثر إلحاحًا، ثم ينتقل بالناس شيئًا فشيئًا حتى يتم له مقصوده[1]. اهـ.

هذا هو المنهج الصحيح في فهم فقه الواقع، حتى ننتقل بالأمة من هذا الواقع المر إلى واقع الخير والإصلاح، لا أن نفهم هذا الفقه فهمًا معكوسًا، فنظل في أماكننا بل كلما جاءت الأيام رجعنا القهقرى استسلامًا للواقع، إن

---

(١) من شريط «دور المرأة لإصلاح المجتمع».

الإخوان المسلمين فـهموا هذا الفـقه فهمًـا سقيـمًا، بأنه يعني المسايرة والتـمشي والتأقلم معه ولو على حساب الدين، ووصموا علماء الأمة وأئمة المسلمين بأنهم متحجرون نصيون جامـدون، ما فقهوا واقعهم، وهذا القول عين الظلم، لأنه إن لم يكن علماء الأمة المعتـبرون فقهاء لواقعهم فـمن يكون؟!، فكل من لم يفقه دينه، لم يفقه واقعه.

يقول سمـاحة الشيخ ابن باز ـ رحمـه الله ـ: الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا يـنبغي وألاَّ يتكلم إلاَّ عن علم وبصيرة، فالقول بأن فـلانًا لم يفقه الواقع يحتاج إلى علم ولا يقوله إلاَّ من عنده علم حتى يستطيع الحكم بأن فلانًا لم يفقه الواقع، أمَّا أن يقول هذا جزافًا ويحكم برأيه على غير دليل، فهذا منكر عظيم لا يجوز، والعلم بأن صاحب الفتـوى لم يفقه الواقع يحتاج إلى دليل ولا يتسنى ذلك إلاَّ للعلماء[١].

فالعلماء المعتبرون هم أكثر الناس فقهًا للحال والمآل والزمان والمكان فتجدهم في فتـاويهم يجيبـون لكلٍّ بما يناسبـه فمن عرفـوا عنه الذكاء والأهلية نصـحوه بالعلم، وصاحب المال الواسع ينصحوه بالبـذل والعطاء، وصاحب الجاه يذكرون له فضل الشفاعة، وهكذا تجدهم يتعاملون مع واقعهم بما لا يخل بشرع ربهم.

الوقفة السادسة ـ البيعة عند الإخوان المسلمين:

نص البيعة: «أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد في سبـيلها والقيـام بشرائط عضويتـها، والثقة التامة بقـيادتها، والسمع والطاعـة في المنشط والمكره، وأقـسم بالله العظيم على ذلك وأبايع عليـه، والله على ما أقول وكيل»[٢].

---

(١) «قواعد في التعامل مع العلماء» (ص١٠٨)، نقلاً من «مجلة رابطة العالم الإسلامي»، العدد (٣١٣).

(٢) «الجماعات الإسلامية (ص١٧٨)، نقلاً من قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين وشعبها (ص٧).

وأظن أن الأخطار والأخطاء التي تحمله هذه البيعة البدعية غنية عن التعليق والإيضاح، ولهذه البيعة أركان عشرة ذكرها البنا ـ رحمه الله ـ: الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، الثبات، التجرد، الأخوة، الثقة[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهد بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل من فعل منهم كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذي يجعلون من وافقهم صديقًا وليًا ومن خالفهم عدوًا باغيًا[٢].

الوقفة السابعة ـ تحقير بعض الإخوان لعلماء الشرع:

فتراهم يزهدون في علماء السنة وينبزونهم بالألقاب، فيصفون بعضهم بأنه عميل، والبعض الآخر بأنه مداهن، وتارة يقولون عنهم: إنهم علماء الورق، وعلماء الحيض والنفاس والخلاء، وأنهم يجهلون الواقع و.. و.. إلى آخر القاموس الذي نفثه قادتهم في صدورهم[٣].

قال ابن باز ـ رحمه الله ـ: فالقول بأن فلانًا لم يفقه الواقع يحتاج إلى علم ولا يقوله إلاَّ من عنده علم حتى يستطيع الحكم بأن فلانًا لم يفقه الواقع، أمَّا أن يقول هذا جزافًا ويحكم رأيه على غير دليل فهذا منكر عظيم لا يجوز[٤].

---

(١) «المورد العذب الزلال» (ص١٨٨)، نقلاً من «مجموعة الرسائل» (ص٢١٨).

(٢) «المورد العذب الزلال» (ص١٨٩)، نقلاً من «الفتاوى».

(٣) «المورد العذب الزلال» (ص٢٠٤-٢٠٥).

(٤) «قواعد التعامل مع العلماء» (ص١٠٨)، نقلاً من «مجلة رابطة العالم الأسلامي» العدد (٣١٣).

الوقفة الثامنة ـ الخلافة هدفهم وغايتهم:

قال البنا ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر كلامًا في شأن الإخوان المسلمين والخلافة: والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم[١].

وأظن أن هذه العبارة لا تحتاج إلى تعليق في بطلانها كوننا لسنا مكلفين بالدعوة إلى دولة، وإنما كلفنا بالدعوة إلى دين الحق الذي يقوم على التوحيد الصادق وهذه هي دعوة الأنبياء والمرسلين[٢].

الوقفة التاسعة ـ تراجع وتناقض:

هناك كثير من مواقف التراجع والتناقض في صف حركة الإخوان المسلمين لا سبيل لحصرها، اذكر من تلك المواقف على سبيل المثال والبرهان:

١ ـ أبو جرة سلطاني رئيس حركة مجتمع السلم والمراقب العام للإخوان المسلمين في الجزائر، يقول: إن المشروع الإسلامي تجاوزه الزمن، وأن السياسة أفسدت الناس، ولا ينبغي أن نعول على الجماهير، والتشادور الأفغاني لا ينتسب للإسلام ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم إدماجه في ثقافتنا[٣].

٢ ـ حزب الإصلاح في اليمن الممثل لحركة الإخوان يعلن موقفه الجهادي ضد الحزب الاشتركي الشيوعي يوم أن أعلن انفصاله عن شمال اليمن عام ٩٣-١٩٩٤م، وهذا موقف يُشكرون عليه، وفي عام ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، قام حزب الإصلاح بالتنسيق والتحالف مع الحزب الإشتراكي معارضة للحزب الحاكم فيا

---

(١) «المورد العذب الزلال» (ص١٨٥)، نقلاً من «مجموعة الرسائل» (ص١٧٨).

(٢) نفسه (ص١٨٥) بتصرف.

(٣) «مجلة البيان» (ص١٠٧) العدد (٢٠٠).

للتناقض العجيب مرة يُقاتلون وأخرى يُناصرون، وليس للشرع أي ميزان في ولائهم وبرائهم.

٣ ـ إعلان قادة الإصلاح قناعتهم بالنهج الديمقراطي تحت مسمى الديمقراطية الإسلامية، إن ذلك لتراجع عجيب.

٤ ـ الإصلاح يدعوا لمشاركة المرأة في الانتخابات، بأن تكون ممثلة أو مقترحة، وهكذ نزعت منهم الغيرة.

٥ ـ رفضهم للتعديلات الدستورية ظاهرًا أمام أتباعهم وموافقتهم عليها باطنًا، إن ذلك لتناقض عجيب بل غريب.

الوقفة العاشرة ـ وشهد شاهد من أهلها:

يقول محمد قطب ـ رحمه الله ـ: وليت الحركة تستفيد من تجاربها وفشلها المتكرر وتدرك الخطأ الذي تقع فيه وأثره السيئ على أفرادها وعلى الحركة الدينية عامة، ولكنها للأسف تسير في دوامة روتينية قاتلة يظهر مثلاً نشاط ديني طارئ ويتجه الناس إلى عمارة بيوت الله بالطاعة وتكثر المدارس والمراكز الدينية ويقبل المسلمون على فعل الخير، وتأتي الحركة لاستغلال هذا الاتجاه في تنفيذ أهدافها وأهمها السلطة، وتنهض الحكومة للدفاع عن سلطتها ويقتل من يقتل، ويسجن من يسجن، ويهرب من يهرب من أفراد الحركة، ومن غيرهم ويضعف النشاط الديني وتفقد الثقة بين الحاكم والمتدينين من رعيته ويتوجس كل منهما الشرَّ في الآخر، ويحاول أن يتقيه بكل الوسائل، وتمر فترة من الزمن تهدأ فيه الخواطر وتبدأ المياة في العودة إلى مجاريها، فيعود المسلم إلى المسجد والمدرسة الدينية وإلى مختلف أعمال الخير، ويولد نشاط ديني جديد، فتأتي الحركة لاستغلاله وتكرر المشاهد المرة تلو الأخرى[1].

---

(١) «الدعوة إلى الله بين الشرع والفكر» (ص٥٤-٥٨)، نقلاً من واقعنا المعاصر.

ويقول الأستاذ فتحي يكن ـ وهو من قادة الحزب في لبنان ـ: منذ ربع قرن والحركة الإسلامية الحديثة تعيش محنًا ضارية تقدم فيها الشهيد وتبذل الثمن غاليًا من وجودها وحياتها، دون أن يكون لها من ذلك أدنى مردود، ثم: والحركة الإسلامية بالرغم من كل هذا لا يزال الأسلوب في العمل نفس الأسلوب الذي مارسته في ظل أوضاع عذت في خبر كان[١].

ويقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: ناقدًا الحركة في أسلوب تربيتها لأفرادها على الحماسة والثورة بحجة سرعان انتشار الدعوة، ولقد تدفعهم الحماسة للدين والجراءة في الدعوة إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة وانتصارها واجتهادًا في تحقيق (مصلحة الدعوة)، ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير أما النتائج فهي غيب لا يعلمها إلاَّ الله، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة، ولن تكون إلا خيرًا في نهاية المطاف، إلى أن قال: إن كلمة (مصلحة الدعوة) يجب أن ترفع من قاموس أصحاب الدعوات؛ لأنها مزلة ومدخل للشيطان، وقد تتحول (مصلحة الدعوة) إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه نهج الدعوة الأصيل[٢]. اهـ.

الوقفة الحادية عشر ـ علاقة الإخوان بالصوفية:

لقد تطرفنا في بداية هذا الموضوع إلى أن الشيخ البنا ـ رحمه الله ـ تربى على الطريقة الصوفية الحصافية وأخذ بيعتها على يد الشيخ/ بسيوني العبد، ثم على يد الشيخ/ عبد الوهاب الحصافي[٣].

---

(١) المرجع السابق (ص٨٥)، نقلاً من «مشكلات الدعوة والداعية مقدمة الطبعة الثانية».
(٢) نفسه (ص٨٩-٩٠)، نقلاً من «الظلال» عند تفسير الآية (٤٢-٥٧)، من سورة الحج.
(٣) نفسه (ص٧١).

قال الشيخ البنا ـ رحمه الله ـ: فضلتُ أن أشدَّ الرحال إلى القاهرة، حيث دار العلوم وحيث المقر الرئيسي لشيخنا الحصافي، وقال: كم كنت أجد متعة كبرى في الحضرة عقب صلاة الجمعة في منزل الشيخ الحصافي، ثم في كثير من ليالي الأسبوع في منزل الخليفة الأول للشيخ كان عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب بعد الحضرة من كل ليلة من أول ربيع أول إلى الثاني عشر منه[١].

وقال الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ)[٢]: وكنا نذهب جميعًا كل ليلة إلى مسجد السيدة زينب فنؤدي صلاة العشاء، ثم نخرج من المسجد ونصطف صفوفًا يتقدمنا الأستاذ المرشد، حسن البنا ينشد نشيدًا من أناشيد المولد النبوي، ونحن نردده من بعده بصوت جهوري جماعي يلفت النظر[٣].

وقد كتب الأستاذ عمر التلسماني ـ رحمه الله ـ مقالاً بعنون الإسراء، قال فيه: إن الاحتفال بهذه المناسبة يدل مظهره على التعظيم لشأن هذه المعجزة الباهرة[٤]. قلت: الاحتفال بهذه المناسبة وغيرها من المناسبات الأخرى من المحدثات، لأنها لم تُعلم عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، فلا يسعنا إلاَّ ما وسعهم، ولن يصلح حالنا إلاَّ الذي أصلح حالهم، وما ذكرناه من دلائل تثبت مدى عمق صلة الإخوان بالصوفية كاف لكل ذي لبٍّ وهو غنيٌّ عن التعليق.

---

(١) نفسه (ص٧٢)، نقلاً من مذكرات الدعوة الداعية (ص٥٢-٥٣).

(٢) (١/١٠٩).

(٣) «المورد العذب الزلال» (ص١٦١).

(٤) نفسه (١٤٩)، نقلاً من «الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام» (ص٧١).

الوقفة الثانية عشر - مع الدكتور القرضاوي - غفر الله له - :

يُعدُّ الدكتور القرضاوي أحد أعمدة جماعة الإخوان، ولقد مرَّ بنا الحديث عن كبار منظري جماعة الإخوان كالبنا، وسعيد حوى، والتلسماني، وغيرهم، وأحببت أن أفرد وقفة خاصة بالدكتور القرضاوي.

أولاً - الولاء والبراء عند الدكتور القرضاوي - غفر الله له -:

١ - قال الدكتور القرضاوي في شأن المسيحيين: أنا أقول: إخواننا المسيحيين، ثم يُنكر عليَّ هذا كيف أقول: إخواننا، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، نعم، نحن مؤمنون وهم مؤمنون بوجه آخر[(١)].

٢ - الدكتور القرضاوي يحيي إسرائيل: قال في خطبة جمعة له حول (التدخين)، وفي نهاية الخطبة الثانية حيا النتائج الانتخابية في إسرائيل، ثم ذمَّ نتائج الانتخابات العربية، قائلاً: ليس هناك التسعات الأربع أو التسعات الخمس التي تعرفها في بلادنا ٩٩,٩٩% ما هذا؟!، إنها الكذب والغش والخداع، لو أن الله عرض نفسه على الناس ما أخذ هذه النسبة نحيي إسرائيل على ما فعلت[(٢)].

ولقد سُئل الشيخ: محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: عن هذا القول، فأجاب: نعوذ بالله هذا يجب عليه أن يتوب إلى الله، وإلاَّ فهو مرتدٌ، لأنه جعل المخلوق أعلى من الخالق فعليه أن يتوب إلى الله، فإن تاب فالله يقبل عنه ذلك، وإلاَّ وجب على حكام المسلمين أن يضربوا عنقه[(٣)].

٣ - يرى جواز التقارب بيننا وبين الشيعة، وسبق ذكر ذلك.

---

(١) «رسالة أخوية» (ص٤٨-٤٩).

(٢) من شريط خطبة جمعة مسجل حول التدخين.

(٣) سُجِّلَ هذا الرد في الشريط نفسه.

ثانيًا ـ الديمقراطية عند الدكتور القرضاوي:

قال ـ هداه الله ـ: أنا من المطالبين بالديمقراطية بوصفها الوسيلة الميسورة والمنضبطة لتحقيق هدفنا في الحياة الكريمة[١]، وقال أيضًا: الواقع إن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام[٢].

ثالثًا ـ الاختلاط عند الدكتور القرضاوي:

قال ـ غَفَر الله له ـ: والخلاصة أن اللقاء بين الرجال والنساء في ذاته ليس محرمًا بل هو جائز أو مطلوب، إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل من عمل صالح أو مشروع خير أو جهاد لازم أو غير ذلك[٣]، وقال أيضًا: أود أن أقول هنا بصراحة إن العمل الإسلامي قد تسربت إليه أفكار متشددة غدت هي التي تحكم العلاقة بين الرجال والنساء، وتأخذ بأشد الأقوال تضييقًا في هذه المسألة[٤]. ومعلوم من الدين بالضرورة حرمة اختلاط النساء بالرجال الأجانب[٥].

رابعًا ـ الدكتور القرضاوي يجوز تمثيل المرأة المسلمة:

قال ـ هداه الله ـ: إن اشتراك المرأة المسلمة في التمثيل أمر ضروري لابد منه، وذكر ضوابط، أهمها:

١ ـ أن يكون اشتراكًا ضروريًا.

٢ ـ أن تظهر بلباس الإسلام ولا تظهر المساحيق.

٣ ـ أن يراعي المصور والمخرج عدم إبراز مفاتنها.

٤ ـ أن تتفوه بالكلام الحسن وتبتعد عن الفاحش[٦].

---

(١) (٢) رسالة أخوية (ص٥٢)، نقلاً من «فتاوى معاصرة للقرضاوي» (٢/ ٦٥٠).

(٣) «رسالة أخوية» (ص٥٣)، نقلاً من «ملامح المجتمع المسلم» للقرضاوي (ص٣٦٨).

(٤) نفسه، نقلاً من «أولويات الحركات الإسلامية» (ص٣٩١).

(٥) يراجع في ذلك كتب الفقه.

(٦) «رسالة أخوية» (ص٥٤)، نقلاً من «مجلة المجتمع الكويتية».

خامسًا ـ الدكتور القرضاوي يجوِّز سماع الغناء:

قال ـ هداه الله ـ: من اللهو الذي تستريح إليه النفوس وتطرب القلوب وتنعم به الأذان: الغناء، وقد أباحه الإسلام، ما لم يشمل على فاحش أو خناء أو تحريض على إثم، ولا بأس أن تصاحبه الموسيقى الغير مثيرة[١].

ويكفينا أن نرد على هذا القول بما قاله ﷺ: «ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر[٢]، والحرير والخمر والمعازف»[٣].

ولقد أجرت معه مجلة الراية[٤] حوارًا فكان مما قاله ـ غفر الله له ـ: الحقيقة أنا مشغول عن سماع الأغاني، لكني استمع إلى عبد الوهاب وهو يغني (البلبل)، واستمع بحب وأتأثر بشدة بصوت فائزة أحمد، خاصة وهي تغني الأغنيات الخاصة بالأسرة (ست الحبايب)، (ياحبيب وياخويا ويابو عيالي)، (بيت العز يا بتنا على بابك عنبتنا)، وهذه أغنية لطيفة جدًا.

سادسًا ـ الدكتور القرضاوي وموقفه من الحرب الأمريكية على أفغانستان:

قال ـ غفر الله له ـ: إنني أدعوا بن لادن إلى تسليم نفسه إلى محكمة دولية باعتباره مشتبهًا في تنفيذ تفجيرات ١١ سبتمبر الماضي في أمريكا، ولم تثبت إدانته بشكل قاطع[٥]، ثم علل ذلك حتى يجنب أفغانستان الحرب الأمريكية.

ولاشك أن هذا الموقف موقف ذل وهوان فلو أنه قَيَّد المحكمة بالإسلامية لكان أهون ثم أين هو من قول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره ولا يسلمه»؟!!

---

(١) نفسه (ص٥٥)، نقلاً من «الحلال والحرام» للقرضاوي (ص٣٩١).

(٢) الحر: هو الزنا.

(٣) رواه البخاري من حديث أبي مالك الأشعري وصححه الألباني في «الجامع» برقم (٥٤٦٦).

(٤) نفسه الهامش (ص٥٥) مجلة «الراية» العدد (٩٥٧).

(٥) «جريدة الصحوة» العدد (٧٩٧)، يوم الخميس ١٦ من شعبان ١٤٢٢هـ الموفق ١/١١/٢٠٠١م.

الوقفة الثالثة عشر ـ فتاوى أهل العلم في جماعة الإخوان:

قال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم، لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار الشرك وإنكار البدع لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة، التي عليها أهل السنة والجماعة[١].

وسئل العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ: هل منهج الإخوان المسلمين على السُّنة؟ فأجاب: من المعروف أن من قواعد الإخوان المسلمين: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وهذا الإطلاق غير صحيح، وبالذات القسم الأخير: «ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

والخلاصة ـ بارك الله فيك ـ الإخوان المسلمون ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعها لهم مرشدهم الأول، وعلى إطلاقها، ولذلك لا تجد فيهم التناصح المستقى من نصوص كتاب الله وسنة رسوله، لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢).

الحق كما تعلم ضد الباطل، والباطل أصولي وفروعي وكل ما خالف الصواب فهو باطل، وهذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عملية بعيدين فكريًا عن فهم الإسلام فهمًا صحيحًا، وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليًا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه[٢].

---

(١) «رسالة أخوية» (ص٥٩)، مختصرًا، نقلاً من «الأجوبة المفيدة» (ص٧٢).

(٢) نفسه (ص٦٠-٦١)، نقلاً من شريط «لقاء مع سروري» للألباني، الوجه الأول.

وسُئل ـ رحمه الله ـ: عن حكم الدخول في حزب التجمع اليمني للإصلاح؟ فأنكر على الحزبية في بلاد الإسلام وذمها وحكم بتحريمها، إلى أن قال: الآن أقول أن هذا التجمع ـ أي: التجمع اليمني للإصلاح ـ يقينًا لم يقم على أساس الكتاب والسنة أولاً، ثم يقينًا، لم يقم يقينًا على الكتاب والسنة ومنهج السلف، أنا لست يمانيًا ولكن هذا الواقع في اليمن[١].

وسُئل الوادعي ـ رحمه الله ـ هل جماعة الإخوان المسلمين والتبليغ والقطبيين من أهل السنة والجماعة أم لا؟، فأجاب ـ رحمه الله ـ قائلاً: أما جماعة الإخوان والتبليغ والقطبيون، فالأولى أن يُحكم على مناهجهم، فمناهجهم ليست بمناهج أهل السنة والجماعة وأما الأفراد، فأنتم تعرفون أن بعض الناس ملبَّس عليه ويكون سلفيًا ويأتون من باب نصر دين الله، ويمشي معهم لا يدري ما هم عليه خليط الأفراد خليطًا لا يُستطاع الحكم عليهم بحكم عام، لكن المناهج ليست بمناهج أهل السنة والجماعة[٢].

الوقفة الرابعة عشر ـ نصائح محب:

في نهاية هذا الموضوع أقدم مجموعة من النصائح لجماعة الإخوان تحقيقًا لقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**»[٣]:

١ ـ التركيز على التوحيد وتربية أفرادهم وأنفسهم عليه وجعله محور ومرتكز دعوتهم.

٢ ـ تصحيح مسألة الولاء والبراء، وذلك بأن يكون ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وبراؤهم ممن يعادون الله ورسوله والمؤمنون.

---

(١) نفسه (ص٦٢) نقلاً من شريط «إعلام القاصي والداني» للألباني.
(٢) المرجع السابق (ص٦٣-٦٤)، نقلاً من شريط الأسئلة السلفية، لعلامة البلاد اليمنية.
(٣) رواه مسلم عن أبي رقية تميم الداري.

٣ ـ التخلي عن التعصب المقيت الذي تقلده كثير منهم لسان حال أحدهم:

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

وقول الآخر:

وما أنا إلاَّ من غزيَّة إن غوت ... غويتُ وإن تُرشد غزية أرشد

٤ ـ نبذ الحزبية المساخة ومحاربتها بأشكالها وصورها، فإنها لا تأتي بخير أبدًا.

٥ ـ نبذ التقليد العقيم الذي لزم الكثير منهم كملازمة الظل للعود.

٦ ـ تصحيح مناهجهم الذي عليه يسيرون وعليه أفراده يربون، ففي مناهجهم كثير من المخالفات لمنهج أهل السنة والجماعة.

٧ ـ إعادة النظر في غايتهم التي ينشدونها ويسعون لتحقيقها وهي الخلافة الراشدة، فإننا لسنا مكلفون بذلك، وإنما كلفنا بدعوة الناس إلى الله الدعوة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فإن فعلنا ذلك، فإن الله سيمكن لنا تنفيذًا لوعده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

٨ ـ الأخذ الصحيح بمسائل الشرع وعدم التساهل فيها وإيصالها إلى حد التمييع، كما هو معهود عندهم.

٩ ـ الإنصاف في مخالفيهم، فلايكون حبهم كلفًا ولا بغضهم تلفًا.

١٠ ـ الأخذ بالسنة وعدم التساهل ببعضها بحجة أن ذلك من القشور، فإنه ليس في الشريعة جميعها ما يسمى قشرًا بل كلها لب، والسنة كما قال مالك وغيره: كسفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق[1].

---

(١) الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ (ص٥٧).

١١ ـ عدم التخلي عن جزئية من جزئيات الدين بحجة الواقع، فإن الكتاب والسنة هما الحجة الأصل على الواقع وليس في الشريعة ما يدل على أن الواقع يصير حجة على الكتاب والسنة يومًا ما.

١٣ ـ عدم تقديم الرأي على الشريعة بحجة المصلحة والمنفعة الحاصلة أو الغالبة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة فما من شيء يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدثنا به النبي ﷺ وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلاَّ هالك، لكن ما اعتقده العقل مصلحة، وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له، إما أن الشرع دلَّ عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر أو أنه ليس بمصلحة، وإن اعتقده مصلحة، لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة، وكثيرًا ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (البقرة: ٢١٩)، وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام والتوصف والرأي وأهل الملك حسبوه منفعة أو مصلحة نافعًا وحقًا وصوابًا ولم يكن كذلك. اهـ[1].

١٣ ـ إعادة النظر فيما يسمونه (بالبديل)، فإن لهم بدائل بدعية ويعتقدون شرعيتها، ولهم في بدائلهم البدعية حجج، منها: التدرج مع الناس في ترك كبائر الذنوب وصغارها.

---

(١) «نفسه، نقلاً من «المجموع» (١١/ ٣٤٤-٣٤٥).

وتدحض هذه الحجة بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في جوابه على مثل هذا العمل: إن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هوشر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أعناهم الله بها عن الطرق البدعية، فلا يجوز أن يُقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد عُلمَ بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان، من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية، فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلاَّ لجهل أو عجز أو غرض فاسد[1].

(١) نفسه (ص٦٠-٦١)، نقلاً من «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٢٠-٦٣٥) مختصراً.

الدرس الرابع

وقفات مع جماعة التبليغ

الوقفة الأولى ـ تأسيس الجماعة:

يُعَدُّ محمد بن الياس بن محمد بن اسماعيل الكاندهلوي نسبة إلى قرية كاندهلة بالهند هو مؤسس الجماعة، وكان مولده في عام ١٣٠٣هـ، وتوفي عام ١٣٦٤هـ، ثم خلفه ابنه محمد بن يوسف المتوفى ١٣٨٥ هـ، ثم خلفه إنعام الحسن المتوفى عام ١٤١٦هـ، ولم يخلف من بعده أحد[١].

الوقفة الثانية ـ أصول الجماعة الستة[٢]:

١ ـ تحقيق كلمة «لا إله إلا الله محمداً رسول الله».

٢ ـ إقامة الصلاة بالخشوع والخضوع.

٣ ـ العلم مع الذكر.

٤ ـ إكرام المسلمين.

٥ ـ إخلاص النية لله.

٦ ـ الدعوة إلى الله تعالى.

الوقفة الثالثة ـ مناقشة أصول الجماعة[٣]:

أولاً ـ تحقيق كلمة «لا إله إلا الله محمداً رسول الله»: إن التحقيق يعني الفهم والتطبيق فهل فهم معنى هذه الكلمة هؤلاء الجماعة؟، وهل دعوا إلى تطبيقها؟، الواقع أنهم لا يعلمون معناها الحقيقي، وهو «لا معبود بحق إلاَّ الله، ومحمد مبلغ دين الله الذي ارتضاه»، ولم اسمع من جماعة التبليغ من دعا إلى فهمها والعمل بها.

---

(١) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٥٦)، «الدعوة إلى الله» (ص٦٠-٦١).

(٢) نفس المراجع (ص٣٧٨ (ص٦٣).

(٣) «كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم» (ص٥٧-٦١) مختصراً.

ثانيًا ـ إقامة الصلاة بالخشوع والخضوع: إقام الصلاة بالخشوع والخضوع يعني: معرفة شرائطها وواجباتها وأركانها وما يتعلق بها من أحكام، فهل قام جماعة التبليغ بتعليم هذه الأمور لجماعتهم؟

ثالثًا ـ العلم مع الذكر: هذا الشرط كبقية الشروط لم يحققه جماعة التبليغ فلقد نصحتُ أحد الشباب الذي ألقى بيانًا ذكر فيه حديثًا موضوعًا، فقال لي أميرهم: اتركه لا تعلمه، الله يعلمه، علمًا بأن كثيرًا منهم لا يريدون قراءة كتب العلم وقد أهديتُ لاثنين منهم بعض الرسائل ليأخذوها معهم ويقرأوها مع جماعتهم، فلم يأخذوها وكان من هدي النبي ﷺ: أنه كان يقبل الهدية، وقال ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»[1].

رابعًا ـ إكرام المسلمين: الواقع أنهم يكرمون ضيوفهم، ولا سيما عند الطعام ويتحدثون عن إكرام العلماء، وليتهم أخذوا بنصيحتهم وقبلوا توجيهاتهم وقد خرجتُ معهم في عدد من البلدان، فلم يسمحوا لي مرة بالتحدث إليهم، بل يسمحون لواحد من جماعتهم ولو كان جاهلاً أن يتحدث للناس، وهذا يضر أكثر مما ينفع.

خامسًا ـ إخلاص النية لله: وهو شرط وقد يتحقق عند بعضهم، فيذهب بنية الدعوة وينفق من ماله، والإخلاص محله القلب لا يعلمه إلا الله، ولكن الإخلاص لا بد له من العلم حتى ينفع صاحبه وتنتفع به الأمة، فقد ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ: «باب العلم قبل القول والعمل»، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

---

(١) رواه أبو يعلى عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٠٤)، وفي «الإرواء» برقم (١٦٠١).

سادسًا ـ الدعوة إلى الله: هذا مبدأ طيب يجب على كل مسلم أن يهتم به كل حسب مقدرته، ولكن الدعوة إلى الله بها شرط مهم بينه الله بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨).

الوقفة الرابعة ـ من فساد اعتقادهم:

١ ـ التلويح بالنبوة: حيث قال المؤسس الأول محمد بن الياس: انكشفت علي هذه الطريقة وألقي في روعي في المنام[١]، وقال أيضًا: إني أُمرت أثناء إقامتي في المدينة بالقيام بالتبليغ، وقيل: «نستخدمك»، فهذا صريح أنه أوحي بالتبليغ[٢].

ولاشك أن هذا القول خطير يناقض قول الرسول ﷺ: **«وأنا خاتم النبيين»**.

٢ ـ الحث على السفر إلى المدينة بقصد زيارة النبي ﷺ بعد الحج بدليل: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[٣]، وهذا الفعل بدعة والحديث موضوع، فلم يُعلم من سنة رسول الله ﷺ أن زيارة المدينة مع قبر الرسول ﷺ من مناسك الحج فزيارة المدينة مستحبة، وليست بواجبة، وهؤلاء بوضعهم للحديث جعلوا الزيارة واجبة.

٣ ـ الحث على التوجه لقبره ﷺ بالدعاء الآتي: «يا رسول الله أسألك الشفاعة»[٤]، ولاشك أن هذا شرك أكبر، لأن دعاء غير الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ والتوسل به ضربًا من أضرب الشرك الأكبر ـ عياذًا بالله ـ.

٤ ـ زيارة الرفاعي لقبر رسول الله: وأن رسول الله ﷺ أخرج يده من القبر للرفاعي ليتمكن من تقبيلها على مرأى من تسعين ألف مسلم، وذلك في القرن

---

(١) «الدعوة إلي الله» (ص٥٦)، «الجماعات الإسلامية» (ص٣٦٠).

(٢) المراجع السابقة (ص٥٧)، (ص٣٦٠) نقلاً من «جماعة التبليغ، عقيدتها، أفكارتها، مشائخها» (ص٤٥-٤٦).

(٣) «الدعوة إلى الله» (ص٦٦)، الإمام ابن تيمية، وجماعة التبليغ (ص٢٣).

(٤) «المراجع اسابقة (ص٦٦)، (ص٢٣) نقلاً من «تبليغي نصاب» (ص١١٥).

السادس الهجري[١]، فيا سبحان الله إلى هذا الحد بلغ التلاعب بعقول الناس، أليس منهم رجل رشيد؟.

٥ ـ إدعاؤهم أن الكعبة تذهب لبعض الصالحين في أماكنهم: فقد روي عن بعض المشايخ ممن كان في خراسان أقرب من مكة من البعض الذين يطوفون البيت، بل البعض منهم تذهب إليهم مكة لزيارتهم[٢]، وهذا القول لا يقوله عاقل، فضلاً عن ذلك جماعة إسلامية تشهد لنفسها أنها تريد إخراج الناس من المعاصي إلى الطاعات.

٦ ـ أكابرهم يرابطون على القبور وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور[٣].

الوقفة الخامسة ـ من بدعهم واستدلالتهم الفاسدة:

١ ـ تحديدهم الخروج معهم بثلاثة أيام أو أربعين يومًا أو أربعة أشهر أو سنة بدعة ليس لها أصل في الشرع، وقد زادها بعضهم ضلالاً باستدلالهم عليها بآيات لا تدل على ذلك بوجه من الوجوه، فقد استدل بعضهم على ثلاثة أيام بقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (هود: ٦٥)، وبأن أقل مدة للقصر ثلاثة أيام، وعلى أربعين يومًا، بقوله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، وعلى أربعة أشهر، بقوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ (التوبة: ٢)، وبقوله: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٦)، إن هذا الاستدلال تكلف وتعسف وتحريف لآيات الله عن موضعها[٤].

---

(١) المرجعان السابقان، نقلاً من تبليغي نصاب (ص٣١).

(٢) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٨٣)، نقلاً من تبليغي نصاب (ص ١٠٠).

(٣) الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ «الدعوة» (ص٢١).

(٤) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٦٤-٣٦٥)، نقلاً من «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» (ص ٣٢٠-٣٢٧).

٢ ـ التقيد بالرسوم المعينة التي لا دليل ولا برهان على شرعيتها، من ذلك خروجهم في وقت واحد بالساعة والدقيقة، لدعوة الناس إلى المساجد، وأيضًا مجلس الشورى في وقت وحدا بالساعة والدقيقة، وأيضًا الجولة الداخلية والجولة الانتقالية، وغير ذلك من الرسوم البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، لذلك تجد كثير من العصاة الذين انضموا إلى جماعة التبليغ وتقيدوا برسومها حالهم من قبل خير، لأن المعصية أهون شرًا من البدعة، لأن العاصي تُرجى توبته خلافًا لأهل البدع الذي تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا تُرجى توبتهم.

قال الثوري ـ رحمه الله ـ: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها[١].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في ترجمة مهيار الديلمي: كان مجوسيًا، فأسلم، إلاَّ أنه سلك سبيل الرافضة وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم من سب الصحابة وغيرهم، حتى قال له أبو القاسم بن برهان: يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسيًا فأسلمت فصرت تسب الصحابة[٢].

الوقفة السادسة ـ من تناقضاتهم:

إنك تجدهم حين يخرجون إلى أماكن شتى من العالم لتعليم الناس، يقولون: «نحن خرجنا لنتعلم ونحصل صفات الصحابة، لا لِنُعَلِّم»، وهذا قول

(١) نفسه (ص٣٦٥).

(٢) «نفسه (٣٦٦)، نقلاً من «البداية والنهاية» (١٢/ ٤١).

متناقض، لأنهم جعلوا العلم لأناس مخصصين فهو في تصورهم مرحلة بعد الدعوة وهو منقوض بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلقد أجمع أولو الألباب على أن العلم يأتي قبل العمل، لأن العمل إن لم يبنى على علم فهو باطل.

أوليس العلم يقتضي العمل فإن صلح العلم صلح العمل، وإن فسد العلم فسد العمل، فكيف يسمح هؤلاء لأنفسهم بالعمل للإسلام دون العلم بالإسلام إن هذا الشيء عجاب[١]، وليتذكر التبليغيون أن الدعوة إلى الإسلام بغير علم يضر بالإسلام أكثر مما ينفع، لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، وهذا ما يحدث في صفوفهم، فإنه عبارة عن مجموعات من الناس لا يستطيعون الثبات أمام خبث هذه الجاهلية الخبيثة، فهم يقفون على أرض واهية تتزلزل من تحتهم، فلا تركيز على عقيدة، ولا اهتمام بعلم، ولا التفاف حول العلماء[٢]، وهكذا تترتب على دعوتهم أضرار بالإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

رام نفعًا فضر من غير قصدٍ ... ومن البر ما يكون عقوقًا

الوقفة السابعة ـ من مفاسد دعوتهم:

لقد تناول ذكر مفاسدهم الشيخ: محمد تقي الدين الهلالي أذكرها باختصار:

١ ـ الابتداع في دين الله ومخالفة سنة رسول الله ﷺ.

٢ ـ تضييع العيال والوالدين والأزواج، وإهدار حقوقهم.

٣ ـ صرف المتعلمين عن تَعَلم العلوم النافعة في الدين.

٤ ـ تعطيل تجارة التجار وتضييع أهلهم ومن يعيش معهم أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة[١]، زاد صاحب (الجماعات الإسلامية) الشيخ: سليم الهلالي،

---

(١) نفسه (ص٣٦٨).

(٢) نفسه (٣٧٣).

(٣) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٧٣-٣٧٤).

حيث قال: ومن شرورهم على السنة المطهرة أن أذاعوا بين الناس الأحايث الضعيفة والموضوعة وأشاعوا الأحاديث التي لا أصل لها، فقد وصفهم أحد الأذكياء بقوله: جماعة التبليغ من مظان الأحاديث الموضوعة[١].

الوقفة الثامنة ـ تزهيدهم في العلم والعلماء الربانيين:

فمِن طرقهم في محاربة العلم وطلابه وعلمائه أنهم يفضلون الخارجين في صفوفهم على أولئك جميعًا فتراهم يقولون لمن خرج معهم ما شاء الله أنت داعية، والداعية مثل السحاب يمر على الناس في أرضهم فيسقيهم وينبت العشب والكلأ، أما العلماء وطلاب العلم، فإنهم آبار قد يقتلك الظمأ قبل أن تصل إليهم، بل قد تأتي البئر ولا تشرب منها، لأن الدلو التي تُلقى فيها غير موجودة فيتكون في ذهن الخارج معهم أنه أفضل من العلماء وطلاب العلم الذين يقتصر نفعهم على أنفسهم وعلى القليل ممن استطاع الوصول إليهم بينما هو نفعه قد عمَّ البادي والحاضر[٢]، والجواب عليهم من وجوه:

* أكتفي بوجه واحد: إن العلماء هم الدعاة فخير الدعاة هم الرسل، ثم ورثتهم العلماء فمن فرق بين العلماء والدعاء فقد سفه نفسه[٣].

ومن طرقهم أيضًا التزهيد في طلب العلم ومعرفة الحلال من الحرام، فإذا رأوا الواحد من الناس يريد طلب العلم الشرعي ومعرفة الحلال من الحرام، فيقول أحدهم إن النبي ﷺ قد قال في شأنه: «استفت قلبك»، بل كثير من الدواب تعرف ذلك.

---

(١) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٧٣-٣٧٤).

(٢) نفسه (ص٣٩٥-٣٩٦).

(٣) نفسه (ص٣٩٦).

فهذه الهرة إذا جئتها وهي تأكل من طعامك، فإنها إذا رأتك ستهرب، لأنها عرفت أنها وقعت في حرام، وإذا جئتها مرة ثانية وهي بجنب الطعام لم تأكل ورميت إليها الطعام، فإنها ستأكل بجانبك ، لأنها تعرف أنها تأكل من حلال[١].

الوقفة التاسعة ـ من غرائب قصصهم:

يقول موسى بن محمد: إن رجلاً أعجميًا كان يطوف مرة، وكان رجلاً دينًا وصالحًا، وسمع في أثناء طوافه صوت خلخال امرأة كانت تطوف، فنظر هذا الرجل إليها فخرجت يد من الركن اليماني ولطمته لطمة خرجت عينه من رأسه وخرج صوت من جدار بيت الله، وهو: إنك تطوف بيتي وتنظر إلى غيري، فهذه اللطمة جزاء هذه النظرة وإن تفعل مرة ثانية يجزك أكثر من ذلك[٢].

وقد يروى عن المشايخ أن كثيراً ممن كان في خراسان أقرب من مكة من البعض يطوفون بالبيت، بل البعض منهم تذهب إليهم الكعبة لزيارتهم[٣].

وقد مرَّ عليك زعمهم أن الرفاعي أخرج له رسول الله يده من قبره الشريف وكل ذلك من نسج الخيال.

الوقفة العاشرة ـ الحكم على هذه الجماعة:

يمكن الحكم على منهجها وأفرادها بأنهم أحناف في المذهب الفقهي، أشعرية في العقيدة، جشتية، نقشبندية، قادرية، سهروردية في طريقة التصوف[٣]، والحكم في حق أفرادها على وجه الإجمال لا التفصيل.

---

(١) نفسه، بتصرف.

(٢) (٣) نفسه (ص٣٨٣)، نقلاً من تبليغي نصاب «باب فضائل الحج».

(٤) نفسه.

الوقفة الحادية عشر- فتاوى أهل العلم فيهم:

١ ـ قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ لما سُئل عن جماعة التبليغ: وأعرض لسموكم أن هذه جمعية لا خير فيها، فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه[١].

٢ ـ وقال سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: وجماعة التبليغ عندهم جهل وعندهم عدم بصيرة، وإلاَّ عندهم تحمس، ثم قال: ما عندهم بصيرة في العقيدة ولا ينبغي الانضمام إليهم إلاَّ إنسان عنده علم ينضم إليهم ليوجههم وليكون معهم في إيضاح الحق، أمَّا عامة الناس لا. ثم نهى عن الانضمام لجماعة التبليغ والإخوان المسلمين[٢].

تنبيه:

كان لسماحة الشيخ فتاوى قديمة فيها تزكية للجماعة، ثم بعد ذلك لم يعد يزكيهم مطلقًا، وصار في فتاويه يحذر منهم ويبين أنهم جهال في العقيدة، فأفاده تلميذه عبد العزيز السدحان ـ حفظه الله ـ[٣].

٣ ـ وقال عنهم فضيلة الإمام العلامة محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ في جوابه على السؤال رقم (٥٠٠) من كتابه (فتاوى العقيدة): أما بالنسبة لجماعة التبليغ، فرأيي فيهم أنهم بلاشك عندهم صلاح وخير كثير، وقد نفع الله بهم نفعًا عظيمًا، فكم من عاص هداه الله على أيديهم، وكم من كافر دخل الإسلام

---

(١) «الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ (الدعوة) (ص٣٦).

(٢) نفسه (ص٣٧-٣٨) مختصرًا.

(٣) نفسه (ص٣٩) مختصرًا.

على أيديهم وتأثيرهم لا أحد ينكره في الواقع، ولكن عندهم جهل كثير يحتاجون إلى طلبة العلم الذين يبينون لهم، كما أني انتقد عليهم: أن بعضهم ولا أقول كلهم إذا دخلت معهم في مناقشة للعلم تجد منه أنه لا يرتاح لذلك وهذا خطأ بلاشك[١].

٤ ـ قال الشيخ حمود التويجري في جوابه على سؤال: هل أنصحه بالخروج مع التبليغيين في داخل البلاد ـ أي: البلاد السعودية ـ أو في خارجها أم لا؟، فأجاب: إني أنصح السائل وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشرك والغلو والبدع والخرافات، أن لا ينضموا إلى التبليغيين ولا يخرجوا معهم أبدًا وسواءً، كان ذلك في البلاد السعودية أو في خارجها، لأن أهون ما يُقال في التبليغيين أنهم أهل بدعة وضلالة وجهالة في عقائدهم وفي سلوكهم ومن كانوا بهذه الصفة، فلاشك أن السلامة في مجانبتهم والبعد عنهم[٢].

٥ ـ وقال العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ: الذي اعتقده أن جماعة التبليغ هي صوفية عصرية، لا تقوم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم قال: إن من عجبي أنهم يخرجون للتبليغ وهم يعترفون أنهم ليسوا أهلاً للتبليغ، والتبليغ إنما يقوم به أهل العلم. ا هـ[٣].

٦ ـ وقال الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ في جوابه عن سؤال حول جماعة التبليغ والإخوان المسلمين، أنها جماعات محدثة وأنَّ عندها خطأ وصوابًا لكن الخطأ أكبر، فليحذر الإنسان... إلخ[٤].

---

(١) «فتاوى العقيدة» جواب على السؤال رقم (٥٠٠)، مختصرًا.

(٢) «الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ» (الدعوة) (ص٣١).

(٣) «الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ» (ص٤١-٤٢)، نقلاً من شريط «القول البليغ في ذم جماعة التبليغ».

(٤) نفسه (ص٤٥).

الوقفة الثانية عشر- نصيحتنا لهم:

ننصحهم ونوجههم بما وجههم الشيخ/ محمد جميل زينو ـ حفظه الله ـ: حيث قال: نصيحتي لهم أن يتقيدوا بما جاء في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، وأن يتعلموا القرآن والتفسير والحديث، حتى تكون دعوتهم على علم، وأن يتقيدوا بالأحاديث الصحيحة ويتجنبوا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأن لا يفصلوا الأمر بالمعروف عن النهي عن المنكر؛ فإن الله قد جمع بينهما في أكثر من موضع وأن يهتموا بالدعوة إلى التوحيد وتقديمها على غيرها، لاسيما توحيد الإلهية[1]، كما ننصحهم بالرجوع إلى العلماء الراسخين المعروفين بصحة المعتقد وسلامة المنهج.

(١) «كيف اهتديت إلى توحيد والصراط المستقيم» (ص٦٥)، بتصرف.

obeikandl.com